

الإبداع والمكان!!

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa94-081115.pdf>

د. صادق السامرائي
أمريكا - العراق
sadiqalsamarrai@gmail.com



إن الإمعان بإدراك المكان وسبر أعماق الوجود فيه , يحقق إبداعا قادرا على إختراق الحدود والضرورة في أي مكان.

ولهذا نرى الإبداعات التي إستطاعت أن تعي المكان المولودة فيه , قد حققت نجاحات عالمية فائقة , لأن الإرتباط القائم ما بين الإبداع والمكان يمنحه خصوصية جغرافية ومحلية , ويوفر له قدرات التآلق العالمي , فهو الحاضنة التي تتضج فيها الإبداعات بأنواعها.

ولا يمكن للإبداع أن يكون أصيلا إن لم يخبر كيمياء المكان وفيزياء التفاعلات الحاصلة فيه , وكيف ترتبط المخلوقات وتتوالد الأحداث من رحمه.

والمبدع الحقيقي هو الذي يغوص في أعماق المكان ويتفاعل معه بكامل طاقاته النفسية الروحية والفكرية , لكي يصل إلى إنتاج إيداعي ذي قيمة إنسانية متواصلة.

وللمكان تأثير كبير على الكلمات والعبارات والأفكار , لأنه يساهم في صياغة الحالة النفسية للمبدع , ويوفر له اليقظة اللازمة لإستجلاب الأفكار وصياغة الموضوع الذي يتناوله.

ولا يمكن فصل الأفكار عن المكان , فهو روح الإبداع الذي يكسبه ملامحه ومميزاته الفارقة , التي تجسد شخصيته وقيمه الفنية والفكرية والنفسية.

ولهذا نجد إبداعا متنوعا بتنوع المكان.

وبإنتقال المبدع إلى مكان آخر , يكون إبداعه مختلفا , وهذا يؤكد إرتباط الحالة النفسية للمبدع بالمكان الذي هو فيه.

فما يكتب في الطائرة يختلف عما يكتب في الباحة , وما يكتب في الجبال يختلف عما يكتب في الوديان , وما يكتبه ابن الأهوار يختلف عما يكتبه ابن المدينة , بل حتى وقت المكان يؤثر في نوع الإبداع , أي ما يكتب في الصباح في ذات المكان يكون مختلفا عما يكتب في المساء.

فالإبداع مرهون بطاقة المكان وقوة الحياة وقدرتها على التحقق فيه , فنكتب شيئا مختلفا عندما نكون

إن الإمعان بإدراك المكان وسبر أعماق الوجود فيه , يحقق إبداعا قادرا على إختراق الحدود والضرورة في أي مكان

الإرتباط القائم ما بين الإبداع والمكان يمنحه خصوصية جغرافية ومحلية , ويوفر له قدرات التآلق العالمي , فهو الحاضنة التي تتضج فيها الإبداعات بأنواعها

لا يمكن للإبداع أن يكون أصيلا إن لم يخبر كيمياء المكان وفيزياء التفاعلات الحاصلة فيه , وكيف ترتبط المخلوقات وتتوالد الأحداث من رحمه

للمكان تأثير كبير على الكلمات والعبارات والأفكار , لأنه يساهم في صياغة الحالة النفسية للمبدع

ما يكتب في الطائرة يختلف عما يكتب في الباحة , وما يكتبه ابن الأهوار يختلف عما يكتبه ابن المدينة , وما يكتبه ابن الوديان , وما يكتبه ابن الأهوار يختلف عما يكتبه ابن المدينة

في الخيمة فوق رمال الصحراء , ويكون إبداعنا بطبيعة أخرى ونحن في فندق ذي خمسة نجوم.

والإبداع نشاط سيكولوجي وحالة نفسية تستحضر أفكارا متفككة معها , والمكان له دور كبير في صياغة النفسية البشرية , ولا يمكن فصل الحالة النفسية للبشر عن المكان الذي هو فيه.

وما يصدر عن البشر يكون متلائما مع وحي المكان , وما يرسمه في وعي المبدع , وما يشكله في لا وعيه البعيد.

والمكان يشكل حالة اللاوعي ويتمكن منها , والمبدع يطلق الكثير من تجاربه اللاواعية في حالة الإبداع , لأنه يسكب محتويات لاوعيه من فوهة قلمه , وبهذا يعبر عن سلوك المكان وتأثيره في المخلوقات الموجودة فيه , مثلما تؤثر المياه على طبيعة الكائنات التي فيها.

فأسماك المياه العذبة غير أسماك المياه المالحة , وإبن الجبل يختلف عن إبن ضفاف الأنهار والبحيرات , وإبن اليابان يختلف عن إبن بلداننا , وقس على ذلك العديد من الأمثلة , التي تعطينا الدليل الواضح على أن المكان يؤثر بأحيائه ويطبعها بطابعه ولونه.

وعقولنا تتأثر وتبدع ما يتفق والمكان , ولهذا فنحن لكي نتذكر علينا أن نتقيد بمكان النشاط الفكري سواء إذا كنا نقرأ أم نكتب , لأن المكان بأجوائه يصنع إرتباطات عصبية في الدماغ , تساهم في تكرير المعلومات والأفكار وتصنيعها وتوليد أفكار أخرى منها, أو إبداعات ذات أشكال متنوعة لكنها مرتبطة بالمكان الذي ولدت فيه.

ووفقا لنظريات التعلم والتذكر فإن ما يجري متكررا في المكان أو المحيط الذي يكون فيه المخلوق متفاعلا , يؤدي إلى علاقات متناسبة معه في أعماق الخلايا الدماغية , ويثير فيها بروتينات الذاكرة والتعلم التي يرجع إليها عند الحاجة أو يتذكرها.

وبما أن الإبداع إستتفار لطاقات الخلايا الدماغية , فإن تأثيرات المكان ستكون واضحة فيه.

وقد يتداخل المكان المخزون في الذاكرة البشرية بالمكان الجديد , ولهذا نجد إختلاطا كبيرا في إبداع المهاجرين , حيث يبدو المزج واضحا ما بين المكان المتسيد في الذاكرة وهو الوطن الذي المهاجر منه , وما بين الوطن أو المكان الجديد.

وبما أن العصبيات الدماغية تحوي على بروتينات المكان السابق بكثافة أكبر , فأنها تسترجعه بقوة وتدفع به في عروق الإبداع فتؤسس لعطاء مختلط.

وكل مبدع يعرف أن المكان الذي يكتب فيه يكون فاعلا فيما يكتبه , أي أنه يكتب من وحي المكان , ويكون في ما يبدعه الكثير من مؤثراته ونتائج تفاعله مع المبدع.

وعليه فإن الإبداع لا يمكن تجريده من مكان صيرورته وصياغته , بل من الممكن القول بأن لا

حتى وقت المظان يؤثر
في نوع الإبداع , أي ما
يكتبه في الصباح في خانة
المظان يكون مختلفا عما
يكتبه في المساء

الإبداع نشاط سيكولوجي
وحالة نفسية تستحضر أفكارا
متفككة معها , والمظان له دور
كبير في صياغة النفسية
البشرية

المظان يشكل حالة اللاوعي
ويتمكن منها , والمبدع يطلق
الكثير من تجاربه اللاواعية في
حالة الإبداع

المظان بأجوائه يصنع
إرتباطات عصبية في الدماغ
, تساهم في تكرير المعلومات
والأفكار وتصنيعها وتوليد
أفكار أخرى منها, أو
إبداعات ذات أشكال
متنوعة لكنها مرتبطة بالمكان
الذي ولدت فيه.

وفقا لنظريات التعلم
والتذكر فإن ما يجري
متكررا في المكان أو
المحيط الذي يكون فيه
المخلوق متفاعلا , يؤدي إلى
علاقات متناسبة معه في
أعماق الخلايا الدماغية

كل مبدع يعرف أن
المكان الذي يكتب فيه يكون
فاعلا فيما يكتبه , أي أنه يكتب
من وحي المكان , ويكون في

وجود لإبداع من غير مكان , أي أن الحاضنة الأساسية للإبداع هو المكان.

ومن الصعب للإبداع أن يولد إن لم يكن قد نضج في رحم مكان ما , فالإبداع جنين لا بد لمكان ما أن يحتضنه ويؤثر فيه , ويعطيه ملامحه لكي تتحقق ولادته السليمة ويسعى فوق الأرض.

ومن هنا فأنا عندما نتحدث عن علاقة الإبداع بالمكان , لابد أن نشير إلى طبيعة المكان الذي حصل فيه الإبداع لكي يكون الإبداع مفهوما.

أما أن نتعامل مع المكان وكأنه حالة مفصولة عن الإبداع , أو أنه ينتسب إلى إبداع , فإن في هذا خطأ فكري وإدراكي , لأن المكان يحتضن أفكاره.

والأماكن المختلفة تحتضن أفكارا مختلفة , والمبدع الذي يكتب في أي مكان تكون أدواته الفكرية مختلفة تماما عن المبدع الذي يكتب في مكان آخر , لأن طبيعة المكان تفرض طبيعة الأفكار.

فالصحراء تحتضن أفكارا تختلف عن الأفكار التي يحتضنها الجبل , والمبدع في الحالتين يكون متباينا في إبداعه , ومن خلال ما نقرأه له نعرف بأنه في الصحراء أو في الجبل.

ويبقى السؤال المحير الذي هو هل أن التفاعل ما بين العقل البشري والمكان , يستجلب أفكارا متوافقة مع المكان , أم أن الأفكار قائمة في المكان ويرتقي إليها العقل البشري فيدركها ويصنع بها إبداعه , أم هي التي تجعله يبدع لكي يعبر عنها؟؟

وهل أن البدن البشري بكل تفاعلاته الفسيولوجية والفيزيائية والبايوكيميائية قد انفصل حقا عن بدن التراب , أم أنه مرتبط به بقوى تؤثر على سياقات التفكير وآليات الإبداع؟؟

ولا ننسى الجاذبية الأرضية وجاذبية المكان الذي يحرر طاقات التفاعل ما بينه وبين الأحياء , وما يتسبب به من تغييرات في مجالات الدماغ الكهرومغناطيسية , وتحديد نوع الأفكار المنجذبة إليه أو الداخلة في فضاء تفكيره ونشاطه الإبداعي المعقد.

ولهذا فإن البشر الذي يفكر خارج غلاف الأرض , تكون أفكاره مختلفة عن الذي يفكر وهو تحت رحمة جاذبيةها وضغط غلافها.

والخلاصة أن المكان يشكل سيكولوجية الإنسان والأعماق , ويحدد طبيعة التفكير ونوع الأفكار المتدفقة من ينابيع الخيال إلى أنهار السطور وسواقي العبارات

*** **

ما يبدهه الكثير من مؤثراته وتتابع تفاعله مع المبدع

أن نتعامل مع المكان وكأنه حالة مفصولة عن الإبداع , أو أنه ينتسب إلى إبداع , فإن في هذا خطأ فكري وإدراكي , لأن المكان يحتضن أفكاره

السؤال المعبر الذي هو هل أن التفاعل ما بين العقل البشري والمكان , يستجلب أفكارا متوافقة مع المكان , أم أن الأفكار قائمة في المكان ويرتقي إليها العقل البشري فيدركها ويصنع بها إبداعه , أم هي التي تجعله يبدع لكي يعبر عنها؟؟

لا ننسى الجاذبية الأرضية وجاذبية المكان الذي يحرر طاقات التفاعل ما بينه وبين الأحياء , وما يتسبب به من تغييرات في مجالات الدماغ الكهرومغناطيسية

المكان يشكل سيكولوجية الإنسان والأعماق , ويحدد طبيعة التفكير ونوع الأفكار المتدفقة من ينابيع الخيال إلى أنهار السطور وسواقي العبارات



شبكة علم النفس العربية
نحو إياقة نفسانية أفضل